كرسي الشيخ ابن عثيمين للدراسات الشرعية

جامعة القصيم Qassim University
كلية العلوم والآداب بعنيزة College of Science and Arts in Unaizah

السجل العلمي

لمؤتمر الشيخ العلامة

عبدالرحمن بن ناصر السعدي

آثاره العلمية والدعوية

الجزء الأول

الأربعاء والخميس
٢٣-٢٤ ربيع الأول ١٤٤١

(3)

تنوع معارف المفسر وأثره على تفسيره
ابن سعدي أنموذجا

د. ضيف الله بن محمد الشهري

الرعاة

مصرف الإنماء
alinma bank

القاضي

سبكيم
Sipchem
EXCELLENCE everywhere

تنوّع معارف المفسّر وأثر ذلك على تفسيره

العلامة السعدي نموذجًا

د. ضيف الله بن محمد الشمراني

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فإن من رحمة الله تعالى بهذه الأمة المحمدية أن جعل في كل قرن منها علماء عاملين، ودعاة مهتدين، يبصّرون عباد الله بتعاليم هذا الدين الحنيف، ويبينون لهم ألفاظ وحي الله ومعانيه، أداء للأمانة التي حُمِّلوها، وحرصًا على هداية الناس، وإقامة للحجة على الخلق.

وقد رُزِق أهل هذا العصر الحديث بعلماء في مختلف الأقطار الإسلامية كانوا أعلام هدى ومصابيح دجى، عمّ الانتفاع بهم، وكثرت الاستفادة من علومهم، فشمل ذلك العام والخاص، والعربي والعجمي، والصغير والكبير، والذكر والأنثى؛ لما فتح الله عليهم من غزارة العلوم، وسعة الفهوم، وصدق النوايا، ونقاء السرائر، وصالح الأخلاق، وجميل الشمائل.

ومن أبرز من كان له أثر كبير في النهضة العلمية والإصلاح الديني والاجتماعي في بلادنا -المملكة العربية السعودية- خاصة، وفي العالم الإسلامي عامة: فضيلة الشيخ العلّامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله- فقد كان له أثر بالغ محمود على الجيل الذي عاصره في حياته، وكذا استمر أثره بعد مماته، من خلال تلاميذه النجباء الأوفياء، وكتبه التي سارت بها الركبان.

وقد سنح بخلدي أن أساهم ببحث وجيز يبرز جانبًا من التميز في علم الشيخ، من خلال تخصصي في التفسير وعلوم القرآن، واخترتُ أن يكون عنوان هذه الكتابة:

(تنوع معارف المفسر وأثر ذلك على تفسيره - العلامة السعدي نموذجًا).

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا البحث خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لكاتبه

وقارئه، والحمد لله رب العالمين.

أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية هذا الموضوع من خلال الآتي:

أولا: تعلقه ببيان العلوم المهمة اللازمة لمن يتصدّى لتفسير القرآن الكريم.

ثانيًا: إبرازه لمنزلة العلّامة السعدي العلمية التي أهّلته للتصنيف في التفسير.

ثالثًا: بيانه لأثر سعة علوم المفسِّر وتنوّع معارفه على جودة فهمه للقرآن، ودقة تفسيره لآياته.

أسباب اختيار الموضوع:

١. تعلقه بتخصص الباحث، مع ما سبق بيانه في أهمية الموضوع.

٢. الرغبة في خدمة علوم الشيخ السعدي، بإظهار بعض كنوزها، وكشف شيء من مخبآتها.

٣. لفت أنظار طلبة العلم إلى تصانيف الشيخ السعدي عامة، وما كتبه في علوم القرآن خاصة، ففيها من التقعيد والتأصيل والاستنباط والفوائد ما لا يوجد في غيرها.

خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس، على التفصيل الآتي:

- المقدمة، وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطّة البحث، ومنهج البحث.
- التمهيد، وفيه: بيان حاجة المفسِّر إلى تنوع المعارف.
- صُلب الموضوع، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معرفة الشيخ السعدي بعلوم المقاصد، وأثر ذلك على تفسيره، وتحته تمهيد وستة مطالب:

التمهيد: في بيان انقسام العلوم إلى مقاصد ووسائل.

المطلب الأول: معرفته بعلم التفسير، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الثاني: معرفته بعلم الحديث، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الثالث: معرفته بعلم العقيدة، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الرابع: معرفته بعلم الفقه، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الخامس: معرفته بعلم السيرة، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب السادس: معرفته بعلم السلوك، وأثر ذلك على تفسيره.

المبحث الثاني: معرفة الشيخ السعدي بعلوم الآلة، وأثر ذلك على تفسيره، وتحته خمسة مطالب:

المطلب الأول: معرفته بعلم أصول التفسير، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الثاني: معرفته بعلم النحو، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الثالث: معرفته بعلم أصول الفقه، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الرابع: معرفته بعلم القواعد الفقهية، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الخامس: معرفته بعلم مقاصد الشريعة، وأثر ذلك على تفسيره.

الخاتمة: وتتضمن نتائج البحث وتوصياته.

الفهارس: وتتضمن فهرسًا للمصادر، وآخر للموضوعات.

منهج البحث:

١. الاعتماد على أصح طبعات كتب الشيخ السعدي.

٢. الاستفادة من كل كتب الشيخ السعدي المتعلقة بالتفسير، وعدم الاقتصار على تيسير الكريم الرحمن الذي ينصرف إليه الذهن عادة عند إطلاق تفسير

السعدي.

٣. الاستشهاد بنص كلام الشيخ السعدي في بيان مطالب البحث -ولو طال النقل- لكون ذلك أعظم أثرًا وأقوم طريقًا في بيان المقصود.

٤. عزو الآيات إلى سورها مع ذكر رقم الآية في المتن.

٥. توثيق المعلومات من مصادرها الأصيلة.

التمهيد

العلوم الإسلامية مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية أو خادمة لهما مُعينة على فهمهما، ومن ثَمَّ اشتدت حاجة طالب العلم الشرعي إلى الأخذ من كل علم من العلوم النافعة المعينة على فهم الشريعة بطرف صالح يمكّنه من المشاركة في الفهم والمناقشة والترجيح بين مختلف الأقوال، وييسر له مراجعة كتب العلماء المتقدمين وفهم عباراتهم واصطلاحاتهم.

أوصى خالد بن يحيى بن برمك ابنَه، فقال: «يا بُنَي: خُذ من كل علم بحظ؛ فإنك إن لم تَعلم جهلتَ، وإن جهلتَ شيئًا من العلم عاديتَه، وعزيزٌ عليَّ أن تُعاديَ شيئًا من العلم»[1].

وقال أبو حامد الغزالي في سياق ذكره آداب المتعلم: «ألا يَدَع طالب العلوم فنّا من العلوم المحمودة ولا نوعًا من أنواعها إلا وينظر فيه، نظرًا يطلع به على مقصده وغايته، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه، وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه، وتطرّف من البقية؛ فإن العلوم متعاونة، وبعضها مرتبط بالبعض»[2].

وقال الراغب الأصفهاني: «لا ينبغي لعاقل أن يستهين بشيء من العلوم، بل يجب أن يجعل لكل واحد حظه الذي يستحقه، ومنزلته التي يستوجبها»[3].

والمتخصص في التفسير أعظم حاجة من غيره إلى تنوع المعارف وتعدد الفنون؛ لما يتميز به علم التفسير من سعة كبيرة جدّاً لا توجد في غيره من العلوم الإسلامية، فموضوع علم التفسير كتاب الله تعالى، وهذا الكتاب العظيم جعله الله

---

(١) جامع بيان العلم وفضله: (رقم: ٨٥٣).

(٢) إحياء علوم الدين: (١/ ٢٩١).

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة: (ص: ٢٧١).

تبيانًا لكل شيء، فمتعلقات آيات القرآن الكريم تحوي أنواع العلوم المختلفة، ولا يتأتى لطالب التفسير الفهم الدقيق في القرآن إلا بمشاركة حسنة في العلوم والمعارف التي تتعلق بها آيات القرآن.

قال ابن عطية: «كتاب الله تعالى لا يتفسَّر إلا بتصريف جميع العلوم فيه»[1].

وقال محمد الأمين الشنقيطي: «في القرآن كل شيء، والناس إنما يأخذون منه بقدر استعداد أذهانهم، كلٌّ يغرف بحسب فهمه، وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي جحيفة أنه لما سأل عليًا -رضي الله عنه-: (هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء؟ قال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهمًا يعطيه الله رجلًا في كتاب الله). فقول علي -رضي الله عنه- يُفهَم منه: أن من أعطاه الله فهمًا في كتاب الله يُخَصُّ بخصائص من العلوم لم يُخَصَّ بها غيره، وما ذلك إلا أن القرآن جمع كل شيء، منه ما يطّلع عليه الراسخون في العلم، ومنه ما يعلمه النبي، ومنه ما لا يعلمه إلا الله»[2].

وقد تحدث كثير من العلماء عن شروط المفسِّر، وفصّلوا في عدّ هذه العلوم ومدى حاجة المفسِّر لكلٍّ منها؛ حماية لجناب الكتاب العظيم من أن يقتحم أسوار الكلام في تأويله الجهال وأنصاف المتعلمين.

قال الراغب: «جملة العلوم التي هي كالآلة للمفسِّر، ولا تتم صناعة إلا بها، هي هذه العشرة: «علم اللغة، والاشتقاق، والنحو، والقراءات، والسِّيَر، والحديث، وأصول الفقه، وعلم الأحكام، وعلم الكلام، وعلم الموهبة. فمن تكاملت فيه هذه العشرة واستعملها خرج عن كونه مفسِّرًا للقرآن برأيه، ومن نقص عن بعض ذلك

(١) المحرر الوجيز: (١/ ٧٣١).

(٢) العذب النمير: (١/ ٧١٢).

مما ليس بواجب معرفته في تفسير القرآن، وأحس من نفسه في ذلك بنقصه، واستعان بأربابه، واقتبس منهم، واستضاء بأقوالهم. لم يكن إن شاء الله من المفسرين برأيهم»[1].

وقال ابن جُزَي: «اعلم أن الكلام على القرآن يستدعي الكلام في اثني عشر فنّاً من العلوم، وهي: التفسير، والقراءات، والأحكام، والنسخ، والحديث، والقصص، والتصوف، وأصول الدين، وأصول الفقه، واللغة، والنحو، والبيان.

فأما التفسير: فهو المقصود لنفسه، وسائر هذه الفنون أدوات تُعين عليه، أو تتعلق به، أو تتفرّع عنه»[2].

وقال السعدي: «النظر لسياق الآيات، مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله، من أعظم ما يُعين على معرفته وفهم المراد منه، خصوصًا إذا انضمَّ إلى ذلك معرفة علوم العربية على اختلاف أنواعها»[3].

والقصد بهذه النقول التأكيد على المعنى الذي قَدَّمتُه من حاجة المفسِّر إلى المشاركة في علوم متعددة، ولذلك لم أشأ إطالة الكلام بمناقشة الأقوال والتنبيه على ما في بعض تفاصيلها من النظر.

ولا بد لطالب علم التفسير مع حرصه على التفنن في العلوم أن لا يغفل عن التدقيق في تخصصه، وتحرير مسائله، وحَلِّ إشكالاته.

قال الشافعي: «من تَعَلَّم علمًا فليُدَقِّق فيه؛ لئلا يضيع دقيق العلم»[4]. وقال

---

(١) جامع التفاسير: (ص: ٦٩).

(٢) التسهيل: (١/ ٤٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن: (١/ ٤).

(٤) المدخل إلى علم السنن: (رقم: ٦١٤).

ابن تيمية: «من اجتمع هَمُّه على شيء واحد كان أبلغَ فيه ممن تفرق هَمُّه في أعمال متنوعة»[1].

(١) منهاج السنة: (٣/ ٩٢).

المبحث الأول

معرفة الشيخ السعدي بعلوم المقاصد، وأثر ذلك على تفسيره، وفيه تمهيد ومطالب:

التمهيد: بيان انقسام العلوم إلى مقاصد ووسائل.

المطلب الأول: معرفته بعلم التفسير، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الثاني: معرفته بعلم الحديث، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الثالث: معرفته بعلم العقيدة، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الرابع: معرفته بعلم الفقه، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الخامس: معرفته بعلم السيرة، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب السادس: معرفته بعلم السلوك، وأثر ذلك على تفسيره.

تمهيد

تعارف العلماء على تقسيم العلوم إلى قسمين:

١. علوم مقاصد وغايات.

٢. علوم وسائل وآلات.

فعلوم المقاصد: ما يُدرَس لذاته، ويندرج تحته: علم العقيدة، وعلم التفسير، وعلم الحديث، وعلم الفقه، وعلم السيرة النبوية، وعلم السلوك وتزكية النفس.

وعلوم الوسائل: ما يُدرَس لغيره، والمراد بـ(الغير) هنا: علوم المقاصد، فعلوم الوسائل -كما هو ظاهر من تسميتها- إنما تتعلم لأجل فهم علوم المقاصد وإتقان معرفتها.

ويندرج تحت علوم الوسائل: علوم اللغة (وأهمها: النحو، والصرف، والبلاغة، واللغة)، وأصول التفسير، وأصول الحديث، وأصول الفقه، والمنطق، وغيرها.

«فأمّا العلوم الّتي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها، وتفريع المسائل، واستكشاف الأدلّة والأنظار؛ فإنّ ذلك يزيد طالبها تمكّنا في ملكته وإيضاحا لمعانيها المقصودة. وأمّا العلوم الّتي هي آلة لغيرها مثل العربيّة والمنطق وأمثالهما فلا ينبغي أن ينظر فيها إلّا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط، ولا يوسّع فيها الكلام ولا تفرّع المسائل؛ لأنّ ذلك مخرج لها عن المقصود؛ إذ المقصود منها ما هي آلة له لا غير، فكلّما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود، وصار الاشتغال بها لغوًا، مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها، وربّما يكون ذلك عائقًا عن تحصيل العلوم المقصودة بالذّات لطول وسائلها، مع أنّ شأنها أهمّ، والعمر يقصر عن تحصيل الجميع على هذه الصّورة، فيكون الاشتغال بهذه العلوم الآليّة

تضييعًا للعمر وشغلا بما لا يغني»[1].

إذا تقرر هذا فإن الشيخ السعدي كان له عناية فائقة بعلوم المقاصد، من تفسير، وحديث، واعتقاد، وفقه، وسيرة، وسلوك، وسأرتب الكلام في ذلك باختصار مناسب للمقام.

(١) مقدمة ابن خلدون: (ص: ١٠٦).

المطلب الأول

معرفته بعلم التفسير، وأثر ذلك على تفسيره.

التفسير: شرح القرآن وبيان معانيه[1].

ويُعَدُّ الشيخ السعدي من علماء التفسير العارفين به، وله عناية بالقرآن وعلومه بزَّ بها أقرانه، وسبق بها أهل زمانه في القُطْر النجدي على وجه الخصوص.

وهو أول عالِم نجدي نال شرف كتابة تفسير كامل للقرآن الكريم بهذه الطريقة الفريدة في سبكه وجودته، فكان له بذلك سبق تاريخي يُضاف إلى سجل إنجازاته العلمية الكثيرة[2].

ولا تكاد تقرأ كتابًا للسعدي إلا وتجد نَفَس العالِم القرآني الذي يربط ما يتناوله من موضوعات بمنهج القرآن وأسلوبه في تناول الموضوعات، فهو مستحضر لآيات القرآن ومعانيها الإجمالية والتفصيلية، ويوظف ذلك أحسن ما يكون فيما يطرقه من موضوعات.

وكان يُقرَأ عليه في دروسه في التفسير: تفسير ابن كثير، وتفسير الجلالين، وتفسيره.

واعتنى أيضًا بالتأليف في هذا الفن، فكتب في التفسير الإجمالي: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، وهو أشهر كتبه وأغزرها فوائد، وبه عُرِف الشيخ واشتهر، وأصل هذا الكتاب: دروس كان يُلقيها الشيخ على طلابه في مجلس بعد صلاة المغرب[3]، وطريقة الدرس: أن تُقرَأ بعض الآيات على الشيخ، ثم يشرع الشيخ في تفسيرها بما فتح الله عليه، ثم إذا انتهى من الدرس ورجع إلى بيته دَوَّن ما

(١) انظر: تفسير ابن جزي: (١/ ٤٧)، أصول في التفسير لابن عثيمين (ص: ٨٢).

(٢) ذكر هذه الأولية الشيخ بكر أبو زيد في مقدمته لتيسير الكريم الرحمن: (١/ و).

(٣) ذكر ذلك الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي في مقدمة دروسه في التعليق على تفسير السعدي.

ألقاه في دفاتر، حتى اكتمل تفسيره على هذه الهيئة التي بين أيدينا، قال تلميذه الشيخ عبد الله العقيل: «وقد رأيتُ بعض النسخ القديمة المخطوطة، رأيتها بخطه في دفاتر، وكل دفتر مذكور فيه تاريخ تصنيفه»[1].

وكتب في التفسير الموضوعي: «تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن»، وقصد به أن يكون مختصرًا لكتابه «تيسير الكريم الرحمن».

وفي التفسير الموضوعي أيضاً على نمط مختلف عن الكتاب السابق: «فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأحكام المستنبطة من القرآن».

وله رسائل بناها على ما استنبطه من دلائل القرآن، أولها: « المواهب الربانية من الآيات القرآنية» كتبها في شهر رمضان من عام ١٣٤٧هـ.

ومنها: «فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام».

ومنها: «الدلائل القرآنية في أن العلوم والأعمال النافعة والعصرية داخلة في الدين الإسلامي».

وقد كان لمعرفة الشيخ السعدي بعلم التفسير الأثر الحميد على ما كتبه، ويتجلى ذلك من خلال الآتي:

أولًا: سلوك المنهج الصحيح في تفسير آيات القرآن.

ثانيًا: القدرة على سبك العبارة التفسيرية بطريقة سهلة ممتنعة.

ثالثًا: التركيز على بيان معاني الآيات القرآنية بطريقة مباشرة، دون الخوض في تفصيلات العلوم الأخرى.

رابعًا: صياغة المعنى بأسلوب جامع لمتفرق الأقوال التي تعد من قبيل خلاف التنوع.

(١) الشيخ السعدي كما عرفته، مجموعة الشيخ العلامة عبد الله بن بن عقيل العلمية: (٦/ ٣٣).

خامسًا: التمكن من الكتابة في أكثر من لون من ألوان التفسير باقتدار، فقد كتب الشيخ السعدي بطريقة التفسير الإجمالي، وكتب بطريقة التفسير الموضوعي، وتفنن في ذلك وأبدع وأمتع.

المطلب الثاني
معرفته بعلم الحديث، وأثر ذلك على تفسيره

لا يخفى على المطالع لسيرة السعدي وتراثه مشاركته في الحديث النبوي فقهًا ودراية واستنباطًا، وتأثير ذلك على علمه بصفة عامة يلحظها كل متأمل في المنهج العلمي له مقارنة بعلماء عصره وقُطْره.

قال السعدي: «أخذتُ عن شيخنا الشيخ صالح بن عثمان القاضي الكتب الستة بتمامها، وذلك في عنيزة سنة خمس وثلاثين وثلاث مئة وألف، وأذن لي شيخنا المذكور بروايتها عنه»[1].

وكان للسعدي دروس في الحديث في «بلوغ المرام» للحافظ ابن حجر، وفي «المنتقى من أخبار المصطفى» للإمام المجد ابن تيمية.

وصنَّف في فقه الحديث النبوي واستنباط الفوائد منه: «بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار»، وهو عبارة عن تسعة وتسعين حديثًا من الأحاديث الجوامع التي هي بمثابة القواعد والضوابط التي تندرج تحتها كثير من الفروع في أبواب مختلفة من العلم، شرح الشيخ هذه الأحاديث بطريقة الشرح الإجمالي الذي يحرص فيه على بيان المقاصد دون الإغراق في التحليل اللفظي،

(١) الإجازات التي نالها الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، لهشام السعيد (ضمن مجموع ابن سعدي: ١/ ٠٨).

على وجه مختصر مفيد ممتع.

وللشيخ السعدي أيضًا شرحٌ للمتن الحديثي المشهور: «عمدة الأحكام» أملاه على تلميذه الشيخ عبد الله بن محمد العوهلي، وهو شرح مختصر يعتني بمقاصد الأحاديث وبيان ما تدل عليه بإيجاز.

وقد كان لعناية الشيخ السعدي بعلم الحديث أثر حسن على تفسيره، كما يتجلى ذلك من خلال الآتي:

أولًا: الصبغة الأثرية التي تحلى بها تفسيره، من حيث تعظيم النصوص، وعدم تجاوزها إلى الرأي المجرد عن الدليل.

ثانيًا: الاستفادة من السنة النبوية في بيان معاني القرآن، ولا يخفى أن السنة بيان للقرآن وتفصيل لما أُجمِل فيه.

ولا يلتزم الشيخ بذكر نصوص الأحاديث في ذلك كما يصنع الحافظ ابن كثير، لكنه يدمج ذلك في أثناء كلامه بما يتناسب مع أسلوبه في التفسير الإجمالي أو الموضوعي بالطريقة المختصرة التي توخاها في تآليفه.

ومن الأمثلة التي تبين استثمار السعدي لعلم الحديث في تفسيره ما يلي:

قال السعدي: «المعصية تؤثر في البقاع، كما أثرت معصية المنافقين في مسجد الضرار، ونهي عن القيام فيه، وكذلك الطاعة تؤثر في الأماكن كما أثرت في مسجد « قباء» حتى قال الله فيه: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [التوبة:١٠٨]، ولهذا كان لمسجد قباء من الفضل ما ليس لغيره، حتى كان صلى

الله عليه وسلم يزور قباء كل سبت يصلي فيه[1]، وحث على الصلاة فيه[2]»[3].

المطلب الثالث

معرفته بعلم العقيدة، وأثر ذلك على تفسيره.

تأثر الشيخ السعدي تأثرًا كبيرًا بالإمامين الجليلين شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن قيم الجوزية، ومن أبرز ما اكتسبه من هذا التأثر: سلوك طريقة السلف الصالح في مسائل الاعتقاد على ضوء ما قرراه في كتبهما، وانتصرا له، ودافعا عنه، وقد سار على المنهج نفسه واتبع الطريقة ذاتها حذو القذة بالقذة.

وأبرز متون العقيدة التي درّسها لطلابه: كتاب التوحيد، والطحاوية، والواسطية.

وصنّف السعدي في علم العقيدة عدة كتب، فله تعليق مختصر على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب سماه: «القول السديد في مقاصد التوحيد» قَدّم له بمقدمة تضمنت مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة، ثم عَلّق على أبواب الكتاب بإيجاز يحوي خلاصة ما تضمنه الباب، وقد يعلّق على أكثر من باب بتعليق واحد يشملها جميعًا، وقال في خاتمة الكتاب: «هذا آخر التعليق على كتاب التوحيد، وتوضيح مقاصده، وقد حوى من غرر مسائل التوحيد، ومن التقاسيم والتفصيلات النافعة ما لا يستغني عنه الراغبون في هذا الفن الذي هو أصل الأصول، وبه تقوم العلوم كلها»[4].

وله تعليق مختصر على العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، سماه:

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (١١٩٣) ومسلم (٩٩٣١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) وذلك ببيان أن «الصلاة في مسجد قباء كعمرة» أخرجه الترمذي (٤٢٣) عن أسيد الأنصاري رضي الله عنه.

(٣) تيسير الكريم الرحمن: (٢/ ٦٨٦).

(٤) (ص: ٧٢٢).

«التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة»، قال في مقدمته: «فهذا تعليق لطيف على عقيدة شيخ الإسلام ابن تيمية المسماة بـ(الواسطية) التي جمعت على اختصارها ووضوحها جميع ما يجب اعتقاده من أصول الإيمان وعقائده الصحيحة، وهي وإن كانت واضحة المعاني محكمة المباني تحتاج إلى تعليق، يزيد في توضيح بعض ما فيها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويبين وجه دلالتها على المقصود، وبيان ارتباط بعض المسائل ببعض، وجمع ما يحتاج إلى جمعه في موضع واحد، والإشارة إلى بعض آثارها وفوائدها في القلوب والأخلاق، والتنبيه لكل ما يحتاج التنبيه إليه»[1].

وغير ذلك من المؤلفات الدالة على تضلعه في علم الاعتقاد، وتمكنه فيه.

ويتجلى أثر إتقان السعدي لعلم الاعتقاد على تفسيره من خلال الآتي:

أولًا: كان إتقان الشيخ السعدي لعلم الاعتقاد على منهج السلف الصالح عاصمًا له بفضل الله من الزلل الذي طرأ على تفاسير كثير من أهل العلم، حتى عد بعض العلماء ذلك أهم ميزات تفسيره.

قال تلميذه الشيخ عبد الله العقيل: «هذا التفسير من أنفع التفاسير وأقربها إلى الفهم؛ لسهولة عباراته، فهي سهلة المباني، واضحة المعاني، خالية من التعقيد والإسرائيليات ومشاكل الإعراب وذكر الخلاف، وأهم ذلك: سلامته من تأويل آيات الصفات، حيث يفسرها على منهج السلف»[2].

ووصف الشيخ بكر أبو زيد تفسير السعدي بأنه «تفسير مأمون جارٍ على طريقة

---

(١) (ص: ٣١).

(٢) مقدمة تحقيق تيسير الكريم الرحمن، ط: دار ابن الجوزي، (١/ أ).

السلف»[1].

ثانيًا: أن الشيخ السعدي تحدّث في أبواب عقدية مختلفة وفق منهجية أهل السنة والجماعة في تناولها وبحثها.

ثالثًا: ردُّ الشيخ السعدي على المخالفين في الاعتقاد من خلال تفسيره للقرآن، بعبارات مختصرة متناسبة مع طبيعة تفسيره.

ومن الأمثلة التي تبين استثمار السعدي لعلم العقيدة في تفسيره ما يلي:

١. بيّن الشيخ في تفسيره لسورة الفاتحة خلاصة معتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، فقال: « واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها: الإيمان بأسماء الله وصفاته وأحكام الصفات، فيؤمنون مثلًا بأنه رحمن رحيم، ذو الرحمة التي اتصف بها المتعلقة بالمرحوم، فالنعم كلها أثر من آثار رحمته، وهكذا في سائر الأسماء، يقال في العليم: إنه عليم ذو علم، يعلم به كل شيء، قدير ذو قدرة يقدر على كل شيء، فإن الله قد أثبت لنفسه الأسماء الحسنى والصفات العليا وأحكام تلك الصفات، فمن أثبت شيئًا منها ونفى الآخر كان مع مخالفته للنقل والعقل متناقضًا مُبطِلا.»[2].

وسار الشيخ على مقتضى هذا الأصل العظيم في تفسيره كله، ومن أمثلة ذلك: إثباته صفة الاستواء لله تعالى، وعبر عن ذلك بقوله: « استواء يليق بجلاله ويناسب كماله»[3].

فالشيخ السعدي كما يتبين من منهجه في تفسيره يثبت لله تعالى أسماءه الحسنى

---

(١) المرجع السابق، ط: دار ابن الجوزي، (١/ ج)

(٢) المرجع السابق: (١/ ١٣)، تيسير اللطيف المنان: (ص: ١١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن: (٢/ ٠٢٨).

كما وردت في الكتاب والسنة، ويثبت له تعالى صفاته العلى على ما يليق بجلاله وعظمته، من غير تمثيل بصفات المخلوقات ودون تعطيل لها ونفي لمدلولاتها.

٢. في باب القَدَر، حيث ذكر الشيخ أصل أهل السنة في ذلك، فقال في فوائد سورة الفاتحة: «وتضمنت إثبات القدر، وأن العبد فاعل حقيقة، خلافا للقدرية والجبرية»[١]. وهكذا بيّن الشيخ في هذه العبارة الموجزة توسّط أهل السنة والجماعة في باب القدر -كغيره من أبواب العقيدة- بين القدرية الذين يقولون باستقلال العبد في اختياره، وينفون خلق الله لأفعال العباد، وبين الجبرية الذين يقولون بأن العبد مُجبَر على أفعاله، وأنه لا مشيئة له ولا اختيار.

٣. إثبات أن للسحر حقيقة وتأثيرًا، حيث ذكر الشيخ في فوائد سورة الفلق دلالتها «على أن السحر له حقيقة يخشى من ضرره، ويستعاذ بالله منه ومن أهله»[٢]. وفي كلام الشيخ في هذا الباب رد على المعتزلة ومن نحا منحاهم من المعاصرين المتأثرين بهم في نفي السحر وإنكار وجوده.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن: (١/ ٤٣).

(٢) المرجع السابق: (٤/ ١٠٠٢).

المطلب الرابع

معرفته بعلم الفقه، وأثر ذلك على تفسيره.

كان هذا العلم أجلّ فنون الشيخ السعدي، وأعظم ما عنده، فيمكن أن يُقال: إن الفقه تخصصه، وبقية العلوم كان مشارِكًا فيها بدرجات متفاوتة.

درس الشيخ السعدي الفقه الحنبلي، وحفظ فيه متن دليل الطالب، وتبحر في معرفة مسائله من خلال الكتب المعتمدة في المذهب، كالروض المربع شرح زاد المستقنع، ومنتهى الإرادات والإقناع وشروحهما وحواشيهما.

وصَنّف فيه مصنفات كثيرة، منها: «إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب» و«منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين»، و«المختارات الجلية من المسائل الفقهية».

ويتجلى أثر إتقان السعدي لعلم الفقه على تفسيره من خلال الآتي:

أولًا: حسن بيانه للآيات المتعلقة بالأحكام الفقهية، وتفسيرها على نحو يجمع بين الدقة والوضوح، فيعطي القارئ خلاصة المسألة من خلال تفسير الآيات، دون إغراق في تفاصيل وخلافيات تخرج المفسِّر عن وظيفته الأساسية في بيان معاني القرآن الكريم.

ثانيًا: قدرة الشيخ السعدي على بيان أي مسألة فقهية واردة في القرآن، سواء تعلقت بالعبادات أو المعاملات أو الأنكحة أو الجنايات، وهي مايمثّل أرباع الفقه المعروفة حسب تقسيم فقهاء الحنابلة، فلا يشعر القارئ بأن تمكن الشيخ الفقهي يتفاوت من باب إلى آخر، بل يجده على نمط واحد.

ومن الأمثلة التي تبين استثمار السعدي لعلم الفقه في تفسيره ما يلي:

١. «واختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [النساء:٤٣]

هل المراد بذلك الجماع؟ فتكون الآية نصا في جواز التيمم للجنب، كما تكاثرت بذلك الأحاديث الصحيحة، أو المراد بذلك مجرد اللمس باليد؟ ويقيد ذلك بما إذا كان مظنة خروج المذي، وهو المس الذي يكون لشهوة، فتكون الآية دالة على نقض الوضوء بذلك»[1].

٢. «وقوله: ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة:٣] راجع لهذه المسائل، من منخنقة، وموقوذة، ومتردية، ونطيحة، وأكيلة سبع، إذا ذكيت وفيها حياة مستقرة؛ لتتحقق الذكاة فيها، ولهذا قال الفقهاء: لو أبان السبع أو غيره حشوتها، أو قطع حلقومها، كان وجود حياتها كعدمه؛ لعدم فائدة الذكاة فيها، وبعضهم لم يعتبر فيها إلا وجود الحياة، فإذا ذكاها وفيها حياة حلّت ولو كانت مبانة الحشوة، وهو ظاهر الآية الكريمة»[2].

٣. «وقال كثير من الفقهاء: إن تفرغ القادر على الكسب لطلب العلم= أعطي من الزكاة؛ لأن العلم داخل في الجهاد في سبيل الله، وقالوا أيضًا: يجوز أن يعطى منها الفقير لحج فرضه. وفيه نظر»[3].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن: (١/ ٩٠٣).

(٢) المرجع السابق: (١/ ٣٩٣).

(٣) المرجع السابق: (٢/ ٢٦٦).

المطلب الخامس

معرفته بعلم السيرة، وأثر ذلك على تفسيره.

الأصل أن العلم بالسيرة فرع عن العلم بالسنة النبوية، ولكن أئمة الإسلام أولوا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم عناية خاصة من حيث السرد التاريخي لأحداثها، ومن حيث فقهها واستنباط الفوائد منها، والقارئ لكتب الشيخ السعدي يلحظ مشاركته في هذا العلم الشريف وإلمامه به تاريخًا وفقهًا، وحثه طلاب العلم الراغبين في تدبر القرآن وفهم كلام الرحمن على دراسة السيرة النبوية، وهي معدودة عنده من أهم علوم المفسِّر، وفي الإلمام بها أعظم العون على فهم كتاب الله[1].

والإلمام بالسيرة النبوية ضروري للمفسّر من جهتين:

أولًا: أن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تطبيق عملي لهدي القرآن الكريم.

ثانيًا: أن عددًا من سور القرآن وآياته لها تعلق مباشر بأحداث السيرة النبوية، ولا تُفهَم الآيات على وجهها فهمًا تفصيليا دقيقًا، إلا بالإحاطة بتلك الأحداث والوقائع.

ويتجلى أثر إتقان السعدي لعلم السيرة على تفسيره من خلال الآتي:

أولًا: قدرته على بيان تفاصيل الأحداث التاريخية لما ورد في القرآن على سبيل الإجمال، ولهذا أثره الكبير في توضيح معاني الآيات بشكل مستوفى.

ثانيًا: الربط بين علمي التفسير والسيرة، وإمداد كل منهما بما يحتاجه من العلم الآخر، سواء من ناحية تفصيل الحدث التاريخي، أو من جهة فقه الواقعة التاريخية وما تتضمنه من فوائد.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن: (١/ ٤)، تيسير اللطيف المنان: (ص: ٣٨٢)، القواعد الحسان (ص: ٣/ ٥٣).

ومن الأمثلة التي تبين استثمار السعدي لعلم السيرة في تفسيره ما يلي:

١. «وفي السنة الثانية أيضا كانت وقعة بدر، وسببها: أن عيرًا لقريش تحمل تجارة عظيمة من الشام، خرج النبي صلى الله عليه وسلم بمن خف من أصحابه لطلبها، فخرجت قريش لحمايتها، وتوافوا في بدر على غير ميعاد، فالعير نجت، والنفير التقوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكانوا ألفًا كاملي العدد والخيل، والمسلمون ثلاث مئة وبضعة عشر على سبعين بعيرًا يعتقبونها، فهزم الله المشركين هزيمة عظيمة، قتلت سرواتهم وصناديدهم، وأُسر من أُسر منهم، وأصاب المشركين مصيبة ما أُصيبوا بمثلها، وهذه الغزوة أنزل الله فيها وفي تفاصيلها سورة الأنفال، وبعدما رجع إلى المدينة منها مظفرًا منصورًا ذَلَّ من بقي ممن لم يُسلم من الأوس والخزرج، ودخل بعضهم في الإسلام نفاقًا، ولذلك جميع الآيات التي نزلت في المنافقين إنما كانت بعد غزوة بدر»[1].

٢. «في السنة الثالثة كانت غزوة أحد، غزا المشركون وجيّشوا الجيوش على المسلمين حتى وصلوا إلى أطراف المدينة، وخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه وعبأهم ورتبهم، والتقوا في أحد عند الجبل المعروف شمالي المدينة، وكانت الدائرة في أول الأمر على المشركين، ثم لما ترك الرماة مركزهم الذي رتبهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال لهم: «لا تبرحوا عنه ظهَرنا أو غُلبنا، وجاءت الخيل مع تلك الثغرة، وكان ما كان، حصل على المسلمين في أُحد مقتلة أكرمهم الله بالشهادة في سبيله، وذكر الله تفصيل هذه الغزوة في سورة آل عمران، وبسط متعلقاتها، فالوقوف على هذه الغزوة من كتب السير يعين على فهم الآيات الكثيرة التي نزلت فيها كبقية الغزوات»[2].

(١) تيسير اللطيف المنان: (ص: ١٩٢).

(٢) المرجع السابق: (ص: ٢٩٢).

٣. «في سنة ست من الهجرة اعتمر صلى الله عليه وسلم وأصحابه عمرة الحديبية، وكان البيت لا يُصَدُّ عنه أحد، فعزم المشركون على صد النبي صلى الله عليه وسلم عنه، ولما بلغ الحديبية، ورأى المشركين قد أخذتهم الحمية الجاهلية جازمين على القتال، دخل معهم في صلح؛ لحقن الدماء في بيت الله الحرام، ولما في ذلك من المصالح، وصار الصلح على أن يرجع النبي صلى الله عليه وسلم عامه هذا ولا يدخل البيت، ويكون القضاء من العام المقبل، وتضع الحرب أوزارها بينهم عشر سنين، فكره جمهور المسلمين هذا الصلح حين توهموا أن فيه غضاضة على المسلمين، ولم يطلعوا على ما فيه من المصالح الكثيرة، فرجع صلى الله عليه وسلم عامه ذلك، وقضى هذه العمرة في عام سبع من الهجرة، فأنزل الله في هذه القضية سورة الفتح بأكملها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١][1]».

ويلاحظ القارئ لهذه الأمثلة وغيرها في تفسير السعدي أنه مُلِمٌّ بعلم السيرة النبوية تاريخًا وفقهًا، وأن اختصار تفسيره لم يمنعه من الحديث عن بعض أحداث السيرة؛ لتعلقها المباشر بالآيات التي يفسّرها.

(١) المرجع السابق: (ص: ٣٩٢).

المطلب السادس

معرفته بعلم السلوك، وأثر ذلك على تفسيره.

يُعَدُّ هذا العلم من أهم العلوم وأعلاها شأنًا؛ لأن المقصود به أن يصل العبد إلى مرتبة الإحسان.

وقد ظهرت عناية الشيخ الفائقة بهذا العلم من خلال المعاني التي بثها في تفسيره للقرآن، وشرحه للأحاديث النبوية، وكلامه في الاعتقاد، وتأصيله في الفقه، فلا يكاد يخلو كتاب له من اللفتات الإيمانية والإشارات السلوكية التي تحيي القلوب، وتزكي النفوس، بمنهج متزن متوافق مع النصوص الشرعية، بعيد عن شطط غلاة الصوفية المعلوم فساده وانحرافه.

ومما كتبه السعدي في هذا العلم رسالة مختصرة نفيسة سمّاها: «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان»، وقد جعلها في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في حدّ الإيمان وتفسيره، وزيادته ونقصه.

الفصل الثاني: في ذكر الأمور التي يُستمَدُّ منها الإيمان، وبيانها بالإجمال والتفصيل.

الفصل الثالث: في فوائد الإيمان وثمراته.

و احتفى الشيخ بهذا العلم في كتبه احتفاءً بالغًا، ولذلك يتفق كل من يقرأ في كتبه أنَّ النَّفَس الإيماني فيها ظاهرٌ جدّاً.

ويتجلى أثر إتقان السعدي لعلم السلوك على تفسيره من خلال الآتي:

أولًا: توضيحه وبيانه للمعاني السلوكية التي تتضمنها كثير من الآيات، ككلامه على فقه الأسماء الحسنى، وكلامه على أعمال القلوب ومفسدات القلوب، والتحلي بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق.

ثانيًا: بحثه لمسائل هذا العلم بأسلوب سلس ميسر، وتجنّبه الخوض فيما أشكل من مصطلحات هذا العلم الواردة في كثير من كتبه، مع تسهيله العبارة بطريقة يستفيد منها كل من يقرأ كلامه وينتفع به.

ومن الأمثلة التي تبين استثمار السعدي لعلم السلوك في تفسيره ما يلي:

١. «لما كان الصبر يُستَمدُّ من القيام بطاعة الله والإكثار من ذِكره أمر الله بذلك، فقال: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥﴾ [الإنسان: ٢٥] أي: أول النهار وآخره، فدخل في ذلك، الصلوات المكتوبات وما يتبعها من النوافل، والذكر، والتسبيح، والتهليل، والتكبير في هذه الأوقات».(١).

٢. «لما ذكر حال المؤمنين والمؤمنات والمنافقين والمنافقات في الدار الآخرة، كان ذلك مما يدعو القلوب إلى الخشوع لربها، والاستكانة لعظمته، فعاتب الله المؤمنين على عدم ذلك، فقال: ﴿۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦﴾ [الحديد: ١٦]. أي: ألم يجئ الوقت الذي تلين به قلوبهم وتخشع لذكر الله، الذي هو القرآن، وتنقاد لأوامره وزواجره، وما نزل من الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم؟! وهذا فيه الحث على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى، ولما أنزله من الكتاب والحكمة، وأن يتذكر المؤمنون المواعظ الإلهية والأحكام الشرعية كل وقت، ويحاسبوا أنفسهم على ذلك، ﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ﴾ أي: ولا يكونوا كالذين أنزل الله عليهم الكتاب الموجب لخشوع القلب والانقياد التام، ثم لم يدوموا عليه، ولا ثبتوا، بل طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم وزال إيقانهم، ﴿فَقَسَتۡ

(١) تيسير الكريم الرحمن: (٤/ ٠٢٩١).

﴿قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تذكر بما أنزل الله، ولا ينبغي الغفلة عن ذلك، فإن ذلك سبب لقسوة القلب وجمود العين».[1].

٣. «ومما هو كالمتفق عليه بين العلماء الربانيين أن الاتصاف في جميع الأوقات بقوة الإخلاص لله، والنصح لعباد الله، ومحبة الخير للمسلمين مع اللهج بذكر بقوة لا يلحقها شيء من الأعمال، وأهلها سابقون لكل فضيلة وأجر وثواب، وبقية الأعمال تبع لها، فأهل الإخلاص والإحسان والذكر هم السابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم»[2].

(١) تيسير الكريم الرحمن: (٤/ ٩٧٧١).

(٢) تيسير اللطيف المنان: (ص: ٦٢٣).

المبحث الثاني

معرفة الشيخ السعدي بعلوم الآلة، وأثر ذلك على تفسيره.

وتحته مطالب:

المطلب الأول: معرفته بأصول التفسير، وأثر ذلك على تفسيره

المطلب الثاني: معرفته بعلم النحو، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الثالث: معرفته بعلم أصول الفقه، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الرابع: معرفته بعلم القواعد الفقهية، وأثر ذلك على تفسيره

المطلب الخامس: معرفته بمقاصد الشريعة، وأثر ذلك على تفسيره.

المطلب الأول

معرفته بعلم أصول التفسير وأثر ذلك على تفسيره.

علم أصول التفسير من المعارف الأساسية لمن يتصدّى لتفسير القرآن الكريم، والمطالع لتفسير السعدي يدرك إلمامه بهذا العلم وتوظيفه له بمنهجية علمية صحيحة.

وقد كتب الشيخ في هذا العلم كتابه النافع المشهور: «القواعد الحِسان لتفسير القرآن».

ويتجلى أثر إتقان السعدي لعلم أصول التفسير على تفسيره من خلال الآتي:

أولًا: تطبيقه لقواعد هذا العلم في تفسيره.

ثانيًا: ترجيحاته المتينة في المعاني التي اختلف فيها المفسّرون.

ثالثًا: تجنّبه الروايات الإسرائيلية، وعدم اعتماده لها مصدرًا للتفسير.

رابعًا: اعتداله في باب النسخ في القرآن، وعدم مصيره إليه إلا عند تعذّر الجمع بين النصوص.

ومن الأمثلة التي تبين استثمار السعدي لعلم أصول التفسير في تفسيره ما يلي:

١. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ [البقرة: ٢٤٠]

«اشتهر عند كثير من المفسرين، أن هذه الآية الكريمة نسختها الآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣٤]، وأن الأمر كان على الزوجة أن تتربص حولًا كاملًا،

ثم نسخ بأربعة أشهر وعشر، ويجيبون عن تقدم الآية الناسخة: أن ذلك تقدم في الوضع، لا في النزول؛ لأن شرط الناسخ أن يتأخر عن المنسوخ. وهذا القول لا دليل عليه، ومن تأمل الآيتين اتضح له أن القول الآخر في الآية هو الصواب، وأن الآية الأولى في وجوب التربص أربعة أشهر وعشرًا على وجه التحتيم على المرأة، وأما في هذه الآية فإنها وصية لأهل الميت أن يبقوا زوجة ميتهم عندهم حولًا كاملا، جبرًا لخاطرها، وبرّاً بميتهم، ولهذا قال: ﴿--------﴾ أي: وصية من الله لأهل الميت، أن يستوصوا بزوجته، ويمتعوها ولا يخرجوها، فإن رغبت أقامت في وصيتها، وإن أحبت الخروج فلا حرج عليها، ولهذا قال: ﴿----------- -﴾ أي: من التجمل واللباس، لكن الشرط: أن يكون بالمعروف الذي لا يخرجها عن حدود الدين والاعتبار»[1].

٢. ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠].

«يخبر تعالى رسوله أنه لا يرضى عنه اليهود ولا النصارى إلا باتباعه دينهم؛ لأنهم دعاة إلى الدين الذي هم عليه، ويزعمون أنه الهدى، فقل لهم: ﴿إِنَّ هُدَى اللهِ﴾ الذي أرسلت به ﴿هُوَ الْهُدَى﴾، وأما ما أنتم عليه فهو الهوى، بدليل قوله ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾. فهذا فيه النهي العظيم، عن اتباع أهواء اليهود والنصارى، والتشبه بهم فيما يختص به دينهم، والخطاب وإن كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أمته داخلة في ذلك؛ لأن الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب، كما أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»[2].

(١) تيسير الكريم الرحمن: (١/ ٩٧١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٩٨).

٣. «واعلم أن كثيرًا من المفسرين رحمهم الله قد أكثروا في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل، ونزّلوا عليها الآيات القرآنية، وجعلوها تفسيرا لكتاب الله، محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم: (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)، والذي أرى: أنه وإن جاز نقل أحاديثهم على وجه تكون مفردة غير مقرونة، ولا منزّلة على كتاب الله، فإنه لا يجوز جعلها تفسيرًا لكتاب الله قطعًا إذا لم تصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أن مرتبتها كما قال صلى الله عليه وسلم: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم «فإذا كانت مرتبتها أن تكون مشكوكًا فيها، وكان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن القرآن يجب الإيمان به والقطع بألفاظه ومعانيه، فلا يجوز أن تجعل تلك القصص المنقولة بالروايات المجهولة، التي يغلب على الظن كذبها أو كذب أكثرها، معاني لكتاب الله، مقطوعًا بها، ولا يستريب بهذا أحد، ولكن بسبب الغفلة عن هذا حصل ما حصل»[1].

(١) المرجع السابق (١/ ٩٦).

المطلب الثاني

معرفته بعلم النحو، وأثر ذلك على تفسيره.

اهتم الشيخ بعلم النحو، ودرسه على بعض شيوخه، ثم درَّسه لطلابه، وكان يشرح لهم في دروسه أشهر المتون المتداولة، وهي: الآجرومية، وملحة الإعراب، وقطر الندى، وألفية ابن مالك.

أما علم الصرف وعلم البلاغة فلم يظهر لي عناية الشيخ بهما عنايته بالنحو -اللهم إلا ما كان من مسائل الصرف المذكورة في متون النحو الآنفة الذكر- وهذا أمر طبيعي بالنظر إلى العلوم السائدة في القُطْر النجدي في ذلك الوقت، فلو نظرتَ مثلا إلى جدول دروس مفتي المملكة في زمنه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ فلن تجد فيها دروسًا في الصرف أو البلاغة.

ومع ذلك فقد نصَّ الشيخ السعدي على أهمية علوم العربية على اختلاف أنواعها للمفسِّر[1]، وقد قرأ الشيخ السعدي على بعض العلماء في علوم العربية كما ذُكِر إجمالًا في ترجمته، ولا يبعد عندي أن يكون قد قرأ على بعضهم شيئًا من علوم العربية غير النحو، أو يكون قد حَصَّل طرفًا منها بالاجتهاد في المطالعة في بعض كتبها، والله أعلم.

ويتجلى أثر إتقان السعدي لعلم النحو على تفسيره من خلال الآتي:

١. تناوله لما يضطر إلى بحثه من مسائل النحو باختصار مفيد.

٢. إعمال القواعد النحوية في الترجيح، فيما يكون الاختلاف التفسيري فيه راجعًا إلى مسألة نحوية.

ومن الأمثلة التي تبين استثمار السعدي لعلم النحو في تفسيره ما يلي:

١. «وقوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٥٩] يحتمل أن الضمير هنا في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ يعود إلى أهل الكتاب،

(١) انظر: المرجع السابق: (١/ ٤).

فيكـون على هذا كل كتابي يحضره الموت ويعاين الأمر حقيقة، فإنه يؤمن بعيسى عليه السـلام، ولكنه إيمـان لا ينفع، إيمان اضطرار، فيكون مضمـون هذا: التهديد لهـم والوعيد، وأن لا يسـتمروا على هذه الحال التي سـيندمون عليها قبل مماتهم، فكيـف يكون حالهم يوم حشـرهم وقيامهم؟، ويحتمل أن الضميـر في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ راجع إلى عيسى عليه السلام، فيكون المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنـن بالمسـيح عليه السـلام قبـل موت المسـيح، وذلك يكـون عند اقتراب السـاعة وظهور علاماتها الكبـار؛ فإنه تكاثرت الأحاديـث الصحيحة في نزوله عليه السـلام في آخر هذه الأمة، يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين. ويوم القيامة يكون عيسـى عليهم شـهيدا، يشـهد عليهم بأعمالهم، وهل هـي موافقة لشـرع الله أم لا؟، وحينئذ لا يشـهد إلا ببطلان كل مـا هم عليه، مما هو مخالف لشـريعة القرآن، وَلِمَا دعاهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم، علمنا بذلك لِعِلْمِنَا بكمال عدالة المسـيح عليه السـلام وصدقه، وأنه لا يشهد إلا بالحق، إلا أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق، وما عداه فهو ضلال وباطل»[1].

٢. «وقوله: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور:٣٣] أي: لا يقدرون نكاحا، إما لفقرهم أو فقر أوليائهم وأسـيادهم، أو امتناعهم من تزويجهم، وليس لهم قدرة على إجبارهم على ذلك، وهذا التقدير أحسـن من تقدير من قَدَّر: (لا يجـدون مهر نـكاح)، وجعلوا المضاف إليه نائبًا منـاب المضاف، فإن في ذلك محذوريـن: أحدهمـا: الحذف في الـكلام، والأصل عـدم الحـذف. والثاني :كون المعنـى قاصرًا علـى من له حـالان: حالة غنى بمالـه، وحالة عدم، فيَخـرُج العبيد والإماء ومَن إنكاحه على وليه»[2].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن: (١/ ٠٨٣).

(٢) المرجع السابق: (٣/ ٥٦١١).

المطلب الثالث

معرفته بعلم أصول الفقه، وأثر ذلك على تفسيره.

برع الشيخ السعدي في هذا العلم، واستفاد منه كثيرًا في تفسيره، وشروحه الحديثية والفقهية، واستنباطه من النصوص الشرعية، وترجيحاته في المسائل العلمية.

وكان يدرِّس طلابه: مختصر التحرير للعلامة ابن النجار، وهو المتن المعتمد في الأصول عند المتأخرين من الحنابلة.

كما صَنَّف الشيخ عددًا من الرسائل المختصرة في أصول الفقه، وهي: «صفوة أصول الفقه المنتخبة من مختصر التحرير»، و«رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة»[1].

ويتجلى أثر معرفة السعدي بعلم أصول الفقه على تفسيره من خلال الآتي:

١. السير على وفق قواعد علم أصول الفقه في تقرير المسائل والترجيح في الخلاف.

٢. الاستنباط من الآيات بإعمال الدلالات على مختلف أنواعها.

ومن الأمثلة التي تبين استثمار السعدي لعلم أصول الفقه في تفسيره ما يلي:

١. ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ

(١) ومما يتأكد التنبيه عليه في هذا المقام: أن طبعة دار الميمان لمجموع مؤلفات الشيخ السعدي أُدرِج خلالها كتاب في أصول الفقه بعنوان: «مختصر في أصول الفقه» ونُسِب للشيخ السعدي، ولا شيء يدل على ذلك سوى وجود الكتاب بخط السعدي، وبديهي أن العالِم قد ينسخ بخطه كتبًا لغيره، فلا يمكن أن يكون هذا الأمر بمجرده دليلًا على إثبات نسبة كتاب لأحد من أهل العلم، وقد نُسِب هذا الكتاب من قبل أيضًا للشيخ عبد الله أبا بطين، وهذا خطأ كذلك، والتحقيق أن الكتاب المذكور لأحد علماء الزيدية، وفيه عبارات مستنكرة يستحيل صدورها من العلامة السعدي رحمه الله.

﴿ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: ٦٠].

أي: ﴿وَأَعِدُّوا﴾ لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك: أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات، من المدافع والرشاشات والبنادق والطيارات الجوية والمراكب البرية والبحرية والحصون والقلاع والخنادق وآلات الدفاع، والرأي والسياسة التي بها يتقدم المسلمون، ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتَعَلّم الرمي، والشجاعة والتدبير، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا إن القوة الرَّمْيُ)[1] ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته، فإذا كان موجودًا شيء أكثر إرهابًا منها، كالسيارات البرية والهوائية المعدة للقتال، التي تكون النكاية فيها أشد كانت مأمورًا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلُّم الصناعة وجب ذلك؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب»[2].

٢. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [البقرة: ١٧٨].

«يمتن الله على عباده بأنه فرض عليهم القصاص في القتلى، أي: المساواة فيه، وأن يقتل القاتل عمدًا على الصفة التي قتل عليها المقتول؛ إقامة للعدل بين العباد.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٧١٩١)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٢) تيسير الكريم الرحمن: (٢/ ٦٢٦).

وتوجيه الخطاب لعموم المؤمنين فيه دليل على أنه يجب عليهم كلهم حتى أولياء القاتل، حتى القاتل بنفسه، إعانة ولي المقتول إذا طلب القصاص، وتمكينه من القاتل، وأنه لا يحل لهم أن يحولوا بينه وبين القاتل إذا تمت الشروط كما يفعله أهل الجاهلية ومن أشبههم من إيواء المُحْدِثين.

ثم بيَّن تفصيل ذلك فقال: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ يدخل بمنطوقها: الذكر بالذكر، ﴿وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ والأنثى بالذكر، والذكر بالأنثى، فيكون منطوقها مقدَّمًا على مفهوم قوله: " الأنثى بالأنثى " مع دلالة السنة، على أن الذكر يقتل بالأنثى، وخرج من عموم هذا الأبوان وإن علوا، فلا يقتلان بالولد، لورود السنة بذلك، مع أن في قوله: ﴿الْقِصَاصُ﴾ ما يدل على أنه ليس من العدل، أن يقتل الوالد بولده، ولأن في قلب الوالد من الشفقة والرحمة، ما يمنعه من القتل لولده إلا بسبب اختلال في عقله، أو أذية شديدة جدا من الولد له. وخرج من العموم أيضا الكافر بالسنة، مع أن الآية في خطاب المؤمنين خاصة. وأيضا فليس من العدل أن يقتل ولي الله بعدوه، والعبد بالعبد، ذكرا كان أو أنثى، تساوت قيمتهما أو اختلفت، ودل بمفهومها على أن الحر، لا يقتل بالعبد؛ لكونه غير مساوٍ له...»[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن: (١/ ١٣١).

المطلب الرابع

معرفته بعلم القواعد الفقهية وأثر ذلك على تفسيره.

من أعظم ما يعين على ضبط الفقه واكتساب المَلَكة فيه: دراسة قواعده بعد الإلمام بكثير من فروعه؛ لأن هذه القواعد تجمع ما تفرق من الفروع برباط محكم في عبارات موجزة دقيقة.

وقد ظهر تمكن الشيخ في هذا العلم من خلال كتبه التي شملت التأصيل والتطبيق بأسلوب ميسر، وهذا متفرّع عن الاهتمام الكبير للسعدي بقواعد العلم وأصوله وضوابطه عمومًا.

ومما كتبه السعدي في القواعد الفقهية:

١. منظومة القواعد الفقهية، وهي موجزة في نحو خمسين بيتًا، وله تعليق إجمالي مفيد على أبياتها.

٢. القواعد والأصول الجامعة.

ومن الأثر الحسن لمعرفة السعدي بهذا العلم على تفسيره ما يلي:

أولًا: الاستدلال بالقواعد الفقهية، وردّ الفروع إليها.

ثانيًا: تأصيل عدد من القواعد الفقهية من آيات القرآن الكريم.

ومن الأمثلة التي تبين استثمار السعدي لعلم القواعد الفقهية في تفسيره ما يلي:

«ولما كان قوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ ربما توهم متوهم أن هذا من باب تكليف ما لا يطاق، أو تكليف ما يشق؛ احترز منه بقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: مشقة وعسر، بل يسّره غاية التيسير، وسهّله بغاية السهولة، فأولا: ما أمر وألزم إلا بما هو سهل على النفوس، لا يثقلها ولا يؤودها، ثم إذا عرض بعض الأسباب الموجبة للتخفيف؛ خفف ما أمر به، إما بإسقاطه، أو إسقاط

بعضه. ويؤخذ من هذه الآية، قاعدة شرعية وهي أن «المشقة تجلب التيسير» و «الضرورات تبيح المحظورات»، فيدخل في ذلك من الأحكام الفرعية شيء كثير معروف في كتب الأحكام».[1].

المطلب الخامس

معرفته بعلم مقاصد الشريعة وأثر ذلك على تفسيره.

الأصل أن بحث موضوع مقاصد الشارع يكون في علم أصول الفقه، لكن «تطور موضوع المقاصد في هذا العصر حتى غدا علمًا مستقلاً داخلًا في مناهج الدراسة في كثير من الكليات الشرعية»[2].

وللشيخ السعدي باع طويل في التأصيل لمقاصد الشريعة وبيانها وشرحها وإيضاح مسائلها، والتأكيد على أهميتها وضرورة العناية بها[3].

قال -رحمه الله-: «معرفة مقاصد الشارع، والصفات التي رتب عليها الأحكام الكلية والجزئية، ومعرفة الحِكَم والأسرار في العبادات والمعاملات والحقوق وتوابع ذلك، من أعظم الطرق التي يُعرَف بها كمال الشريعة، وأنها مشتملة على مصالح العباد في دينهم ودنياهم ومعاشهم ومعادهم، فكلما كان العبد بذلك أعرف، عَرف بذلك من جلالة الشريعة الإسلامية وهيمنتها وشمولها للخيرات والبركات

---

(١) تيسير الكريم الرحمن: (٣/ ٩١١١).

(٢) إرشاد القاصد: (ص: ٦).

(٣) صدر عن دار التوحيد عام ١٤٣٧هـ كتاب: «مقاصد الشريعة عند العلامة السعدي» للدكتور جميل يوسف زريوا، وأصل الكتاب رسالة دكتوراة مقدمة لقسم أصول الفقه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

والعدل والإحسان، ونهيها عن كل ما ينافي ذلك ويضاده»[1].

ومما استفاده السعدي من معرفته بهذا العلم في تفسيره ما يلي:

١. العناية بمقاصد القرآن الكريم والاهتمام بها.

٢. التنبيه على كمال الشريعة وجمالها في أحكامها وتشريعاتها التي تضمنها كتاب الله تعالى.

ومن الأمثلة التي تبين استثمار السعدي لعلم مقاصد الشريعة في تفسيره ما يلي:

١. «فلولا مدافعة الله الناس بعضهم ببعض بأسباب متعددة، وطرق متنوعة قدرية وشرعية، وأعظمها وأجلها وأزكاها: الجهاد في سبيله لاستولى الكفار الظالمون، ومحقوا أديان الرسل، فقتلوا المؤمنين بهم، وهدموا معابدهم، ولكن ألطاف الله عظيمة، وأياديه جسيمة، وبهذا وشبهه يُعرف حكمة الجهاد الديني، وأنه من الضروريات، لا كقتال الظلمة المبني على العداوات والجشع والظلم والاستعباد للخلق، بل الجهاد الإسلامي مرماه وغرضه الوحيد: إقامة العدل، وحصول الرحمة، واستعباد الخلق لخالقهم، وأداء الحقوق كلها، ونصر المظلومين، وقمع الظالمين، ونشر الصلاح والإصلاح المطلق بكل وجه واعتبار، وهو من أعظم محاسن دين الإسلام»[2].

٢. قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور: ٢].

«هذا حد الزاني غير المحصن من ذكر أو أنثى: يجلد مائة جلدة، جلدات تؤلمه وتزجره ولا تهلكه، ويتعين أن يكون ذلك علنًا لا سرّاً، بحيث يشهده طائفة من المؤمنين؛ لأن إقامة الحدود من الضروريات لقمع أهل الجرائم، واشتهارُها هو

(١) مجموع الفوائد: (ص: ٧٢٢).

(٢) تيسير اللطيف المنان: (ص: ٩٠١).

الـذي يحصل به الردع والانزجار وإظهار شـعائر الدين، والاسـتتار به أو على أحد دون أحد فيه مفاسـد كثيرة، ووردت السـنة بتغريب عام كامل عن وطنه مع الجلد، كما تواترت السـنة وأجمع المسلمون على رجم الزاني المحصن، يرجم بالحجارة حتى يموت»[1].

(١) المرجع السابق: (ص: ٣٥١).

الخـاتـمـة

الحمد لله، وبعد: ففي خاتمة هذا البحث أذكر أبرز نتائجه وأهم توصياته.

أولًا: نتائج البحث:

١. تفسير القرآن أوسع العلوم الإسلامية، وكلما كان المتصدي للتفسير متضلعًا من العلوم مجيدًا توظيفها في فهم كتاب الله كان أسعد حظًّا بالتوفيق للصواب، وأقدر على الإفادة وإبانة المعاني وحل الإشكالات.

٢. جمع الشيخ السعدي سعة العلم، ومتانة التأصيل، وجمال الأسلوب، وجودة التصنيف.

٣. كتب الشيخ تفسيره الكبير: "تيسير الكريم الرحمن" على طريقة التفسير الإجمالي، وتفسيريه الوسيط: "تيسير اللطيف المنان" والوجيز: "فتح الرحيم الملك العلام" على طريقة التفسير الموضوعي.

٤. قصد الشيخ السعدي بتفسيره تسهيل معاني القرآن للناس عمومًا، فتخفف فيه مما أثقل به أكثر المفسرين كتبهم من دقائق العلوم.

٥. كُتب الشيخ السعدي في التفسير من أفضل ما يقرأه العالم والمتعلم من كتب التفسير؛ فقد صاغها بأسلوب سهل ممتنع، يجد فيها العالم بغيته من لطائف المعاني، ويجد فيها غيره ما يحتاجه من معاني القرآن وهداياته.

٦. ساهم تفنن الشيخ السعدي في علوم المقاصد والوسائل في إثراء تفسيره بالفوائد، وإمداده بحسن الفهم ودقة الاستنباط، وإرشاده إلى سديد القول، وحمايته من الزلل.

٧. تميز الشيخ السعدي عن علماء المملكة في وقته بعنايته البالغة بعلم التفسير تدريسًا وتأليفًا، وورث عنه ذلك بعض تلاميذه، خصوصًا الشيخ محمد بن

صالح العثيمين.

ثانيًا: توصيات البحث:

١. إعادة طباعة مجموع مؤلفات الشيخ السعدي طبعة متقنة مدققة على منهج منضبط واضح المعالم، كصنيع مشروع تحقيق كتب ابن القيم الذي وضع خطته وأشرف عليه: الشيخ بكر أبو زيد.

٢. نشر علوم الشيخ السعدي بين طلاب العلم وعامة الناس، بتدريس كتبه في المساجد والمعاهد والجامعات، وتقريب ما احتوته من نفائس بدراسات كاشفة وبحوث موثقة محررة.

٣. تبني المنهج الإصلاحي المتزن والخطاب التجديدي المنضبط الذي تميز به الشيخ السعدي، وبَذَّ به أقرانه وكثيرًا من علماء عصره.

فهـــرس المصـــادر

- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.
- إرشـاد القاصد إلى معرفة المقاصد، يعقوب الباحسين، دار التدمرية، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ.
- التسـهيل لعلوم التنزيل، محمـد بن أحمد بن جزي الكلبـي الغرناطي، تحقيق: علي الصالحي، دار طيبة الخضراء، الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ.
- التعليق على القواعد الحسـان المتعلقة بتفسـير القرآن، محمد بـن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.
- التنبيهـات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسـطية من المباحث المنيفة، عبد الرحمن ابن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ.
- تيسـير اللطيـف المنـان في خلاصة تفسـير القـرآن، عبـد الرحمن السـعدي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ.
- التوضيح والبيان لشـجرة الإيمان، عبد الرحمن السـعدي، تحقيق: ياسـر المطيري، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ.
- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي، تحقيق: محمد بن عوض المصري، دار الإمام البخاري، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ.
- جامع التفاسـير، الراغـب الأصفهاني، تحقيق: أحمـد فرحات، دار الدعـوة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
- الذريعة إلى مكارم الشـريعة، الراغـب الأصفهاني، تحقيق: أبـو اليزيد العجمي، دار السلام، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

- شرح أصول في التفسير، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ.
- الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي مفسِّرًا، عبد الله بن سابح الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ.
- فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرزاق البدر، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.
- القول السديد في مقاصد التوحيد، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: ياسر المطيري، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ.
- المدخل إلى علم السنن، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عوّامة، دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ.
- مجموعة الشيخ العلامة عبد الله بن عقيل العلمية، دار الصميعي، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ.
- مجموع مؤلفات العلامة عبد الرحمن السعدي، دار الميمان، الطبعة الثانية ١٤٣٦هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ.
- المختارات الجلية من المسائل الفقهية، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: ماهر الشبل، مكتبة دار المنهاج، الطبعة الثانية ١٤٣٦هـ.
- مقاصد الشريعة عند العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي دراسة تأصيلية تطبيقية، جميل يوسف زريوا، دار التوحيد، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ.

- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: مصطفى شيخ، مؤسسة الرسالة ناشرون، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الفضيلة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
- منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: محمد الخضيري، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ.
- المواهب الربانية من الآيات القرآنية، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عمر المقبل، دار الحضارة، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.